

وقعة صفين

[483] فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص، وأمره أن يكلم أهل العراق. فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن عمرو ابن العاص، إنها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم. وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله. فاعتنموا هذه الفرجة لعله أن يعيش فيها المحترف (1) وينسى فيها القتل. فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام، إنه قد كان بيننا وبينكم أمور حamina فيها على الدين والدنيا، سميتموها غدرا وسرفا، وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم، ولا أهل الشام إلى شامهم، بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله. فالأمر في أيدينا دونكم، وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم. وقام الناس إلى على فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه فإننا قد فنيانا. ونادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس، وهو: رءوس العراق أجيئوا الدعاء * فقد بلغت غاية الشدة وقد أودت الحرب بالعالمين * وأهل الحفاظ والنجدة فلسنا ولستم من المشركين * ولا المجمعين على الردة ولكن أناس لقوا مثلهم * لنا عدة ولهم عدة فقاتل كل على وجهه * يقحمه الجد والحده فإن تقبلوها ففيها البقاء * وأمن الفريقين والبلده وإن تدفعوها ففيها الفناء * وكل بلاء إلى مده

(1) ح: " المحترق ". (*)